مشهد

الراكب والمركوب

مؤنس الرزّاز

الضرير:

ـ صوتك يأتي من مكان مرتفع. هل تقف على قمّة صخرة؟

الراكب:

ـ الحقيقة يا أخي الكريم أنني أركب شيئاً ما.

الضرير:

ـ أتقصد أنك تعتلي شيئاً لا تعرف هويّته؟

الراكب:

ـ بالضبط.

الضرير:

ـ هل أنت ضرير مثلي؟

الراكب:

ـ لا لماذا؟

الضرير:

وتسألني لماذا؟ كيف تجهل ما تركب؟

الراكب:

ـ أعتقد أنه آلة. لا... ربّما كان حيواناً. لا.. لست متأكداً. لعلّه سلعة. نعم. سوف أعتمد كلمة «سلعة» في وصفه. السلعة تشمل كل الكائنات.

الضرير:

ـ إذا لم تكن ضريراً، فانظر إلى كتفيّ وقلْ لي ما الذي يركبني!

الراكب:

لا أرى كتفيك. لا أراك. صوتك يأتي من تحتي. ولكن لا يوجد غيرنا في هذه القفار. لعلها الهموم.

الضرير:

ـ الهموم؟

الراكب:

ـ نعم. الهموم تركب الإنسان.

الضرير:

ـ ربما. بالمناسبة همومي ثقيلة جداً.

الراكب:

ـ أترى؟ لا بدّ أنها الهموم.

الضرير:

ـ لست على يقين من ماهية ما يركبني.

الراكب:

ـ وأنا لست على يقين من ماهية ما أركب... يقولون إن العنيد يركب رأسه.

الضرير:

ـ أنا لست عنيداً. كما أنني لا أركب رأسي. الحق أنني لا أركب شيئاً. شيءٌ ما هو الذي يركبني.

الراكب:

ـ هل تشعر بالراحة هناك، أقصد تحت؟

الضرير:

ـ الراحة؟ كيف يشعر المركوب الذي يجهل طبيعة حمله بالراحة؟

الراكب:

ـ هل أنت يائس من معرفة هوية مَنْ يركبك... بلا قافية؟

الضرير:

ـ ثمة حلّ وحيد: أن تترجل أنت عن الشيء الذي تركبه، وتدنو من مستواي، وتعاين المجهول الذي يركبني.

الراكب:

ـ لكنني مرتاح فوق «الشيء» الذي أركبه. صحيح أنني أجهل طبيعته، لكنني أركب شيئاً مريحاً على كل حال. وأخشى إنْ ترجّلتُ أن يركبه شخص آخر، أو إنْ يهرب فأفتقر إلى شيء أركبه. ثم ماذا لو ترجلت ودنوت منك، واكتشفت أن الذي يركبك غير منظور، كالهموم مثلاً، أو الخواطر السوداء والكوابيس المزعجة؟ ألن يصبح ترجلي عبثاً لا طائل منه؟

الضرير:

ـ أين أنت بالتحديد؟

الراكب:

ـ فوق الشيء.. السلعة.. الآلة.

الضرير:

ـ هل ثمة احتمال أن يكون هذا الشيء الذي تركبه حيواناً؟

الراكب:

ـ كل الاحتمالات واردة. انظر إلى السماء. الغيوم تنعقد. أراهن أن السماء ستمطر.

الضرير:

ـ وهل هناك احتمال أن يكون هذا الشيء الذي تركبه إنساناً؟

الراكب:

ـ وهل سمعت عن إنسان يُرْكَب ... (بغتة يهطل مطر غزير فلا تكتمل الجملة).

الضرير:

ـ المطر. معك مظلة؟

الراكب:

ـ توقعتُ المطر.

الضرير:

ـ معك مظلة؟ المطر يزعجني.

الراكب:

ـ معي مظلة واحدة فقط.

الضرير:

ـ ألا تملك مظلة أخرى لي؟ لقد بلّل المطرُ رأسي وملابسي.

الراكب:

ـ لا. أملك مظلة واحدة. سأفردها فوق رأسي.

الضرير:

ـ وماذا عن الشيء الذي تركبه؟

الراكب:

ـ هذه مشكلته.

(الراكب يفتح مظلته ويرفعها فوق رأسه).

الضرير:

ـ ما هذا؟ هل انقطع المطر؟

الراكب:

ـ لا. إنني أراه ينهمر بغزارة.

الضرير:

ـ مستحيل. لا أشعر بأي قطرة تهطل على رأسي أو تبلّل ملابسي، كأنما انقطع المطرُ بغتة.

الراكب:

ـ غريب. أنا انقطع المطر عني بسبب مظلتي التي تحميني وتُظلِّل الشيءَ الذي أركبه، فما الذي يحميك أنت؟

الضرير:

ـ لعل الهموم أو الكوابيس أو الخواطر أو الشيء الذي يركبني، رفع مظلّة فوق رأسه، فحماني بغير قصد من المطر.

الراكب:

ـ كل شيء جائز.

الضرير:

ـ إنه عالم غريب لامعقول حقاً!

عمّان